العهدين الأيوبي والمملوكي، غير أن ثمة أرقاماً متداولة في بدايات العهد العثماني ١٥٢٦م، تشير إلى أن لواء صفد ضم ٣٠ ألفاً ولواء القدس ١٥ ألفاً ولواء غزة ٢٨ ألافاً... أما إحصاءات أواخر القرن ١٦ فتشير إلى ٤٢ ألفاً في لواء القدس و٣٩ في لواء نابلس و٥٦ في لواء غزة و٨٢ ألفاً في لواء صفد... استناداً إلى ضبط الجبايات الضريبية الذي كان يستثني موظفي الدولة ورجال الدين والجنود القدامى والجواري والغلمان والأرقاء...

وعن الريف الفلسطيني فقد ساده نمط الإنتاج الفلاحي وزراعة الحبوب والأشجار المثمرة، ومعظم القرى أقيمت على التلال المرتفعة، ولم تنفك على هذا النحو لهذا اليوم، وحسب المعطيات الدفترية للحكم العثماني فمرج ابن عامر سنة ١٥٣٨م كان يشمل ٨١ قرية تضم الواحدة منها بين ١٠ – ٦٠ أسرة... وفي أغلب الحالات كان للقرية سيد إقطاعي.

وفي الصحاري والأغوار والجبال الفلسطينية انتشرت القبائل وحياة البداوة، وإن لم تنجح الحملات الصليبية في إخراجهم من مناطقهم واعترف لهم بحق الرعي والاستفادة من مصادر المياه، غير أن الفرنجة في المقابل حصلوا على (الإتاوة والخدمات الاستخبارية حتى وصل الأمر ببعض القبائل درجة المشاركة مع الفرنجة في قتال المسلمين)[٧٥].

أما هجرة القبائل العربية من الجزيرة العربية واليمن نحو فلسطين فلم تتوقف.

وعلى صعيد إداري حصلت تبدلات في فلسطين، فبينما كانت جنداً في زمن عمر بن الخطاب مروراً بالأمويين والعباسيين، جرى تقسيمها إلى نواحٍ ومدن لكل منها والٍ، وهذا ينسحب على بلاد الشام عموما، بما عزز من قبضة الخلفاء الفاطميين الذين كانوا مرجعية للولاة. أما في زمن الفرنجة ففصلت فلسطين عن محيطها العربي وتوزعت على إقطاعات يحكمها القادة الفرنجة. أما بعد تحرير معظم فلسطين على أيدي الأيوبيين فقد تراوحت بين إلحاقها بمملكه دمشق التي يحكمها ابن صلاح الدين الأفضل ومنافسه شقيق صلاح الدين العزيز ملك مصر. وفي العقود الأخيرة من حكم الأيوبيين توسعت المملكة اللاتينية في فلسطين على حساب مناطق سيطرتهم بتسهيلات من ملوك الأسرة الأيوبية المتنافسة، وبعد التحرير الثاني لفلسطين على أيدي المماليك ألحقت ثانية بمملكة دمشق، وبعد حين (تفشت الرشوة وبيع وشراء الوظائف الإدارية لولايات المدن المختلفة)[٧٦].

---

٧٥) د. عثامنة، مرجع سابق. ص٢٦٣

٧٦) د. عثامنة، مرجع سابق. ص٣٠٩